مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ **ISSN:** 1112- 7872
E-ISSN: 2600-6162
مجلد: 19 عدد: 01 جوان 2023
العنوان: البعد الروحي المغاربي من خلال نشاط... ص.ص 772- 791.

البعد الروحي المغاربي من خلال نشاط الطريقة الرحمانية (تونس والجزائر أنموذجا)

بوزياني هاجر[1]، حجازي مصطفى[2]
1- جامعة أبي بكر بلقايد -تلمسان،
hadjer.bouzianie@univ-tlemcen.dz
2- جامعة أبي بكر بلقايد -تلمسان ،
depthistoire.utlemcen@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2021/01/07؛ تاريخ القبول: 2023/02/23

The Maghrebanspiritual dimension through the Rahmanian way (Tunisia and Algeria as models)

A. bouziani hadjer, B. hidjazi mustapha

Abstract:

The Rahmaniya method was prevalent throughout Algeria and neighboring country, Tunisia, thanks to the establishment of Sufism. It played a vital role in political, economic and cultural events as well as the reinforcement of bonds between two people against French colonialism. The latter had an underlying agenda of eliminating the local culture that had been successful in confronting it. The Rahmaniya insisted on keeping the Holy Qur'an being published, followed and referred to, therefore contributing to the spread of its authentic teachings. As the need for such scientific associations grew, so did the people who adhered to their principles. For the Jihad Brigade, nonetheless, it was a reaction to the reality of the French occupation and a means to relieve the frustration that had been associated with the crusades and raise awareness amongst the colonized to resist the French methods.

Keywords :mysticism, methods, rahmanian way, the maghrebin spiritual dimension, Zawiyas.

الملخص:

عرفت الطريقة الرحمانية شهرة واسعة داخل الجزائر وبالقطر التونسي الشقيق بوصفها طريقة تصوف وعلم وجهاد كان لها دور فعال في معظم الأحداث السياسية والاقتصادية والثقافية كدورها في توطيد العلاقات بين الشعوب التونسية والجزائرية ضد الوجود الاستعماري الفرنسي الغاشم. وواجهت مشروعه الداعي إلى القضاء على حضارة وثقافة هذه الشعوب المغلوبة على أمرها، ونجحت في تلك المواجهة إذ استطاعت الطريقة الرحمانية الحفاظ على القرآن الكريم في الصدور والعمل بأحكامه والالتزام بآدابه فساهمت بذلك في ترسيخ العقيدة الإسلامية الصحيحة في النفوس كما حافظت على مقومات هذه الأمة في الوقت الذي ازدادت فيه حاجة المواطنين إلى مثل هذه المؤسسات العلمية الخيرية، بفعل تكاتف أبناء وشيوخ الطريقة الرحمانية، فضلا عن حملها لواء الجهاد باعتباره رد فعل طبيعي على واقع الاحتلال الصليبي الفرنسي وأداة لرفع الإحباط الناجم عن الهزائم الممهدة لترميم الاحتلال في البلاد الإسلامية، وإيقاظ الوعي بضرورة مقاومة الاحتلال الفرنسي ومناهضة أساليبه.

الكلمات المفتاحية: التّصوّف، الطّرق، الطّريقة الرّحمانية، البعد الرّوحي المغاربي، الزوايا.

مقدمة:

تعد الطرق الصوفية ظاهرة دينية ثقافية متعددة الأبعاد نشأت في ظروف سياسية، اجتماعية وفكرية معينة أدت أدوارا تاريخية هامة في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية تظهر تجلياتها في أشكال مختلفة وفي جميع المستويات العلمية الروحية، الثقافية، الاجتماعية والسياسية...

كان للتصوف والطرق الصوفية مكانة مرموقة في تاريخ المغرب العربي عامّة تجلّى ذلك من خلال أثره على الصّعيدين الثّقافي والجهادي ولعلّ من أشهر هذه الطّرق الصّوفية نجد الطّريقة الرّحمانية التي عرفت شهرة واسعة واكتسبت مع مرور الزّمن حضورا قويّا وسط الكمّ الهائل من الطّرق الصّوفية.

والطّريقة الرّحمانية هي طريقة دينيّة صوفيّة نشأت في الجزائر في أواخر القرن الثّاني عشر الهجري وهي تمثّل أحد المعالم الرّئيسية البارزة وظاهرة دينيّة، روحية، اجتماعية وسياسية هامّة وهي من أكثر الطّرق الصّوفية انتشارا ببلاد المغرب الإسلامي لاسيما بتونس والجزائر، فقد دخلت الطّريقة الرّحمانية مُعتَرك الصّراع الحضاري والثّقافي مع المحتلّ الأجنبي وبترسيخ القيم الحضاريّة والأبعاد الرّوحية والدّينية لدى الشّعب التّونسي والجزائري كونها سعت إلى تكوين أجيال متشبّعة بالأخلاق الإسلامية ومتمسّكة بالآداب والفضائل السّامية وفتحت الطّريق أمام طلبة العلم والمعرفة لينهلوا ما شاء لهم من علوم ومعارف إسلامية، إلى جانب مساهماتها العلميّة والحضاريّة كان لها دور ريادي في إذكاء روح المقاومة ضدّ المحتلّ وتمتين روابط التّواصل الحضاري بين البلدين.

ومن هنا تأتي دراستنا لموضوع "البعد الرّوحي المغاربي من خلال نشاط الطريقة الرحمانية (تونس والجزائر نموذجا)" محاولين من خلاله إبراز مكانة الطّريقة الرّحمانية في تقوية الصّلات الرّوحية المغاربية بين تونس والجزائر؟ وفيما يكمن هذا الدّور؟.

إن التعامل مع هذه الإشكالية الرئيسية يتطلب وضع فرضيات جزئية التي من شأننا ان نستظهر معالمها من خلال محتوى الدراسة، جاءت كالآتي:

- ماهي الجذور التاريخية والفكرية والمنابع الأولى للطريقة الرحمانية؟

- كيف ساهمت الطريقة الرحمانية في ترسيخ القيم الحضارية والأبعاد الروحية والدينية لدى شعوب المنطقتين رغم السياسة الاستعمارية الفرنسية ضدها؟

- ماهي الإستراتيجية المعتمدة من طرف الإخوان الرحمانيين للتصدي للاحتلال الفرنسي وتحقيق الوحدة المغاربية؟

انطلاقا من أهمية الموضوع ودوره في إثراء البحث التاريخي وتوجيهه نحو مسائل ومواضع ذات ارتباط بالتاريخ الوطني، جاء هدفنا من هذه الدراسة:

- ✓ الاهتمام بإبراز الأدوار التاريخية المشرفة للطريقة الرحمانية خلال العهد الاستعماري التي رفعت لواء الجهاد ضد الاستعمار الفرنسي ووحدت كلمتها في مواجهته بمختلف السبل الممكنة.
- ✓ إلقاء بعض الأضواء حول الرابطة الروحية والدينية والجهادية بين الجزائر وتونس من خلال نشاط الطريقة الرحمانية.

إن طبيعة الدراسة التاريخية وخصوصية الموضوع فرض علينا إتباع المنهج التاريخي في عرض الحقائق والأحداث، تخلل نوعا من التحليل للوصول إلى استنتاجات موضوعية.

أصول الطّريقة الرّحمانية

الطريقة الرحمانية طريقة دينية صوفية نشأت في الجزائر في أواخر القرن الثاني عشر هجري- الثامن عشر ميلادي على يد مؤسسها الشيخ محمد بن عبد الرحمان الأزهري ومنه أخذت اسمها، وهي تمثل أحد المعالم الرئيسية البارزة وظاهرة دينية روحية اجتماعية وسياسية هامة في تاريخ الجزائر المعاصرة، وهي طريقة تدعو الى احترام مبادئ الدين الإسلامي الحنيف والعمل على نشر الخير والفضيلة والأخلاق الحميدة(القاسمي الحسني، 2005، الصفحات من 106- 116)

هاجر بوزياني
hadjer.bouzianie@univ-tlemcen.dz

تعرف الطريقة الرحمانية بالطريقة الخلوتية وهي الأصل، والتي تعود أصولها الأولى الى الطريقة السهروردية نسبة الى الشيخ أبو النجيب عبد القاهر بن عبد الله بن محمد بن عموية(490ه-563ه) واسمه عبد الله بن سعد وينتهي نسبه الى سيدنا أبي بكر الصديق ويلقب المؤسس بضياء الدين السهروردي شيخ وقته بالعراق(ابن خلكان، (د.ت)، صفحة 204)أما المؤسس الحقيقي والفعلي هو الشيخ شهاب الدين عمر السهروردي(539ه-632ه)(الشافعي و العجمي، 2007، صفحة 75)

انتشرت الطريقة السهروردية في كل من الهند والصين والشرق الأوسط وتفرعت عنها العديد من الطرق الصوفية مثل الأبرهيةالكبروية الملوية الجلوثيةالخلوتية(الكوثري، 2004، الصفحات من 21- 24) المنسوبة الى الشيخ أبو الفيض محمد بن نور كريم الدين الخلوتي الخوارزمي(ت 166ه)الذي أخذ عن الشيخ إبراهيم الزاهد الكيلاني عن جمال الدين التبريزي عن ركن الدين أبي الغنائم محمد بن الفضل السنجاني عن قطب الدين الأبهري عن أبي النجيب السهروردي(الجبرتي، 1998، الصفحات من 339- 341) أن أصل الطريقة الرحمانية هي الطريقة الخلوتية بل أنها في البداية لم تكن تعرف الا باسم الخلوتية وبعد وفاة ابن عبد الرحمان الأزهري نسبت اليه فقيل الطريقة الرحمانية الخلوتية. والخلوتية هي طريقة صوفية شهيرة وهي فرع من فروع الطريقة السهروردية وتعد من أهم الطرق في تركيا ، وانتشرت بين الصوفية الاكرام والفرس والأتراك أولا، ثم انتقلت إلى باقي المناطق كالعراق والشام والحجاز ووصلت إلى باكو وأذربيجان وأوروبا الشرقية وشمال افريقيا (ليبيا ، تونس ، الجزائر والمغرب) (X avier coppolani.oclave Depont, 1897, p. 337)

انتشرت الطريقة الخلوتية بالمغرب الإسلامي منذ أواخر القرن 12 وبداية القرن 13 هجري وقد تم لها انتشار واسع وسريع على يد أعلام أخذوها عن خلفاء الشيخ مصطفى البكري (مفتاح، 2004، صفحة 78) ومن أشهرهم العارف بالله أحمد الصقلي وهو أمحمد الصقلي الحسيني (ت 1177هـ) وولد بفاس (1112 هـ) حفظ القرآن وتفقه على علماء جامع القرووين(المراكشي، 1974، صفحة 29) وكان قد اتخذ

مجموعة من الصلحاء كرفقاء له وهم على الخصوص: محمد التاودي ابن ودة السري (الجبرتي، 1998، الصفحات 53-54) وعبد الوهاب التارزي(مخلوف، 1930، صفحة 372)

أخذ أحمد بن أحمد الصقلي الحسيني الطريقة الخلوتية عن شيخها بمصر محمد بن سالم الخفناوي والإذن بتبليغها، ولما عاد إلى مسقط رأسه ذاع صيته، واجتمع عليه الكثير من الناس وأصبح يلقن أوراد الطريقة الخلوتية من جهة، ويزاول شعائره من جهة ثانية، توفي الشيخ الصقلي (7 رمضان 1177 هـ) بالمغرب الأقصى (المراكشي، الاعلام بمن حل مراكش وأغمات من الاعلام، 1974، صفحة 390)

عمل الشيخ محمد بن سالم الخفناوي على نشر الطريقة الخلوتية بالمغرب الإسلامي فبعدما بعث تلميذه الشيخ أحمد الصقلي الفاسي إلى المغرب الأقصى لنشر الطريقة والتي لقيت نجاحا طيبا هناك ، أرسل إلى تلميذه محمد بن عبد الرحمن الأزهري يطلبه العودة إلى مصر منها إلى الجزائر لنشر الطريقة بها (باش تارزي)وقد أسس زاويته بقرية آيت إسماعيل والتي أدت دورا كبيرا في نشر العلم والطريقة الرحمانية في تلك الفترة وشرع في الوعظ وكللت دروسه بالنجاح مما جعل طلبة الزوايا المجاورة يغادرونها لحضور دروسه، وسرعان ما أصبحت قرية آيت إسماعيل قبلة لطلاب العلم والطريقة (بن عزوز، 1984، صفحة 122)

ظل محمد بن عبد الرحمن الأزهري لمدة 16 سنة لا يفارق منزله وبلدته، وبعد ذلك بدأ في الانتقال عبر المدن الجزائرية لنشر طريقته، وذلك بعد أن كوّن قاعدة صلبة وصار له الكثير من الأتباع والمريدين في مختلف المدن الجزائرية كمستغانم، البليدة، المدية، وهران، حتى تونس وطرابلس (الحسني، 2008-2009، صفحة 26)

اسهامات الطريقة الرحمانية في ربط الصلات الروحية المغاربية:

احتلت الطرقية في المجتمع الجزائري مكانة هامة إذ كان لها الدور الفاعل في معظم الأحداث السياسية ، الاقتصادية والثقافية كدورها في توطيد العلاقات بين سكان الثخوم في شرق الجزائر

وغرب تونس ، فقد كان للطريقة الرحمانية وجود قوي في البلدين (تونس والجزائر) بلغ تعداد مريديها 67139 مريد بنسبة 45,6 % من عدد سكان المنطقة . وبناء على ما تؤكده بعض المصادر كان بزاوية الكاف الرحمانية حوالي 900 مريد و32 مقدم في سوق أهراس وحدها (cour، 1862، صفحة 115) ويعتبر محمد بن عزوز البرجي شيخ الطريقة الرحمانية (برج طولقة) الذي ورث بركة الطريقة عن شيخه مصطفى بن محمد باش تارزي الذي لم يكن مقدما للرحمانية في الجنوب فقط ، ولكن في الجريد التونسي أيضا ، كما أنه ولشهرته وكثرة فروعه وأتباعه أصبح وكأنه مؤسس لطريقة جديدة تسمى العزوزية الرحمانية ، كما كان لاحتلال فرنسا لبسكرة وتطور أحداث الجزائر وتونس سببا آخر في تفريعات الطريقة الرحمانية. لأنه عند احتلال بسكرة (1844-1843 م) هاجر مصطفى بن محمد بن عزوز إلى نفطة بتونس وأسس بها زاوية رحمانية أصبحت ذات شهرة واسعة سيما قبل احتلال تونس سنة 1881 م ، حيث كان ولاء شيوخ الطريقة في فروع (طولقة – أولاد جلال – الأوراس – خنقة سيدي ناجي – الهامل – وادي سوف) للشيخ مصطفى بن عزوز (ARCHIVES NATIONALES)

أنشأ مصطفى بن عزوز زاوية نفطة التي انفصلت عن الطريقة الرحمانية الخلوتية بالجزائر وقد أنشأها لنشر الطريقة بالقطر التونسي ، فيها تخفيف كبير عن قيود الخلوتية ترغيبا للناس حتى يقبل أكبر عدد ممكن وقد نجح في اجتذاب عدد كبير من الناس إلى الطريقة وانتشر صيته ، فقد كان الباي أحمد باشا يحترمه ويعظم شأنه ، وكذلك الباي محمد الصادق باشا ، ومدحه الشيخ إبراهيم الرياحي بمدائح شعرية ونثرية (محفوظ، 1982، صفحة 397)

و كان مصطفى بن عزوز صاحب شخصية جذابة لما له من فصاحة وبيان وتمكن في العلم وديانة وذوق صوفي وصدق في ممارسة طقوسه (ابن أبي ضياف، 1979، صفحة 132)

كان للطرق الصوفية ورجالها مكانة لدى سائر الطبقات ، لهذا استغل الشيخ مصطفى بن عزوز من طرف الوزير الأكبر مصطفى

خزندار في تهدئة ثورة علي بن غداهم تمهيدا منه للانتقام من الأشخاص والقبائل الذين تعاطفوا مع هذه الثورة وأيدوها ، وقام الشيخ بن عزوز حينها بجولة في مناطق القبائل ونجح في مهمته نجاحا مؤزرا (خزينة وثائق الحكومة التونسية)

من تلامذة بن عزوز عبد الحفيظ الخنقي مقدم الرحمانية في خنقة سيدي ناجي ونواحيها وعمل على نشر التعليم والأذكار الصوفية وبقي على ولائه لفرع الرحمانية بنفطةالعزوزية(سعد الله أ.، 1998، صفحة 147) وكان للشيخ مصطفى بن عزوز أولادا عدة منهم من بقي في الجزائر ومنهم من انتقل إلى تونس وأنشأ بها زوايا أيضا هم: الخفناوي الذي خلفه على زاوية نفطة ومحمد الذي أسس زاوية بالقيروان، والمكي الذي اشتهر بالعلم والورع حيث هاجر إلى المشرق وعمل في نطاق الجامعة الإسلامية وكان الشيخ المكي قد تزوج من نواحي بوسعادة وأنجب ولده الكامل بالجزائر، والذي كان يتردد عليها في تونس وكان الكامل قد تخرج من جامع الزيتونة (ARCHIVES NATIONALES)

و كان أبناء الشيخ عبد الحفيظ على صلة بزاوية نفطة الرحمانية ، حتى أن الأذكار هنا وهناك واحدة وكانت فرنسا تشجع على التفرق في الزوايا والشيوخ لأسباب تتعلق بتسهيل التحكم فيها سواء في الجزائر أو تونس ، ولاحظ الباحثون الفرنسيون أن هناك فروعا للفرع أيضا ، فزاوية نفطة والخنقة لهما نفس الفروع في الكاف وتوزر والقيروان وجملة مريدي هاتين الزاويتين (نفطة والخنقة) تقرب من أربعة عشر ألف مريد وهو رقم قد يكون مبالغ فيه جدا فحسب إحصاء سنة 1897 م : الزوايا 15 الإخوان 13940 منهم 1206 امرأة ، ولكن لهم شخص واحد (بن عزوز) والمقدمون 76 والطلبة 66 والشاواش 80 (سعد الله أ.، 1998، صفحة 153)

و ترجع شهرة زاوية نفطة إلى كونها أصبحت مدرسة للتعليم بالإضافة إلى الدور الديني والاجتماعي وكان رجالها يكملون تعليمهم بجامع الزيتونة ، ويتولون الوظائف الدينية كالقضاء والتعليم ومنهم الجزائريان المكي بن عزوز والخضر بن الحسين ، كما ذهب إلى هذه

الزاوية عدد من طلبة الجزائر للدراسة أيضا ، مثل عاشور الخنقي ، كما هرب إليها بعض الثوار أمثال ناصر بن شهرة وشريف ورقلة ونزل فيها محي الدين بن الأمير عبد القادر لسنة 1870-1871 م حين عاد إلى الجهاد فأهل بسكرة وتبسة والوادي وتقرت كانوا يقصدون زاوية نفطة للتعلم والتصوف معا (الحسيني، (د.ت)، صفحة 117)

حسب إحصائيات هنري قارو سنة 1906 م أن مجموع الإخوان الرحمانيين هو 133500 من بينهم أكثر من 13000 من النساء ومنهم أيضا 13000 اخواني و15 زاوية في نفطة وقد تعمد ذكر نفطة ورغم أن حديثه كان منصبا على تاريخ الرحمانية في الجزائر ربما لكثرة أتباع هذا الفرع في الجزائر ولأصوله الجزائرية رغم أنه لم يذكر فروعا أخرى رحمانية مثل: الوادي، الخنقة ..... (سعد الله أ.، 1998، صفحة 179)

نشأ للطريقة الرحمانية فرع آخر في سوق أهراس على يد الشيخ الكامل بن المكي بن عزوز، والشيخ الكامل هو حفيد مصطفى بن عزوز من ابنه المكي الذي هاجر إلى المشرق وعمل في نطاق الجامعة الإسلامية، وابنه الكامل تخرج مثل أبيه من جامع الزيتونة (بن عثمان، 1350 هـ، صفحة 36)

لقد أحدث الفرنسيون بعد احتلال تونس تنافسا بين زاويتي طولقة ونفطة أو بين الحفناوي والحسين أخ علي بن عثمان شيخ زاوية طولقة، وانتهى الخلاف بينهما إلى الانفصال، وبقيت الخصومة بين الفرعين حتى بعد اختفاء الحسين والخفناوي، فقد ذهب البليدي بن الحسين إلى توزر لتأسيس زاوية منافسة للعزوزية، وبعد وفاة الخفناوي خلفه ابنه على رأس زاوية نفطة ابن محمد الأزهاري الذي وجد صعوبة في المحافظة على رصيد الزاوية الذي كان لها في عهد جده مصطفى (أبو القاسم، 1998، صفحة 182)

بعد ثورة 1871 م اضطهدت الطريقة الرحمانية ، وهدمت زواياها الواقعة في المناطق الثائرة وتفرعت إلى فروع وفقدت مركزيتها بعد هدم زاوية "صدوق" بزعامة الشيخ الحداد ونفي

زعمائها إلى خارج الجزائر، وجزء منها نفي إلى تونس ، ولكنها كانت أكثر الطرق انتشارا بين الجزائر وتونس فعدد زواياها 177 ، وطلبتها أكثر من 676 ، ولها 140596 من الأتباع إضافة إلى 13186 امرأة ، والإحصاء العام يذكر أن حوالي 165214 مريدا ، لكن هذا الرقم دون الواقع بكثير ، والرحمانية كما قلنا سلفا منتشرة بكثرة بين الجزائر وتونس خصوصا بعد إنشاء زاوية نفطة وهجرة أهل زواوا إلى تونس بعد ثورة 1871 م (أبو القاسم، 1998، صفحة 294)

أما الجنوب بصفة عامة كان تحت تأثير الزاوية العزوزية خصوصا عن طريق خريجيها أمثال : مولود الزريبي المدرس بزاوية الهامل ، وسيدي حامد العبيدي النفطي مدرس التجويد والقراءات أو عن طريق معاهدها وزواياها المنتشرة في القطرين مثل : زوايا (طولقة ، الهامل، الخنقة ووادي سوف...) (سعد الله ا.، خارج السرب، 2005، صفحة 175) التي زارها أبو القاسم سعد الله عام 1989 : "...زرت في نفطة ما أمكنني زيارته كالزوايا وبعض المساجد والأشخاص ، ولاحظت استمرارية بالنسبة لبعض الزوايا : مثل البوعليةوالتيجانية وانقطاعها بالنسبة لزوايا أخرى مثل : زاوية مصطفى بن عزوز ، زاوية الشيخ التارزي ، كلاهما تعود إلى أصول جزائرية ، وقد سمعت شكاوى من أن أوقاف (أحباس) الزاوية قد ضمتها الدولة إلى أملاكها ، وأن الزيارات قد انقطعت وأن ورثة أصحاب الزاوية قد تطورت بهم الحياة فأصبحوا موظفين في المدن الأخرى وهجروا زاويتهم وأملاكهم ، ولاحظت أنه لم يبقى للزاوية العزوزية غير ضريح الشيخ والجامع الذي أصبح بدوره في حالة سيئة أما العقارات الأخرى التي حول الجامع فقد استولى عليها الناس وسكنوها ، أما العلم فقد انقطع أثره فلا شيوخ ولا طلبة ولا مكتبة رغم أن هذه الزاوية كانت في القرن الماضي (ق 19 م) على الخصوص ملجأ سياسي ومنتدى علمي بعد احتلال فرنسا بسكرة ونواحيها، ويكفي أنه تخرج منها : المكي بن عزوز والخضر حسين والشيخ محمد اللقاني.....) (سعد الله ا.، في الجدل الثقافي، 2005، صفحة 47).

فمن بلدة نفطة بالجريد التونسي إلى العاصمة التونسية كانت المدارس والزوايا التونسية مشرعة الأبواب لأفواج طلاب العلم على النحو الذي تفصله مذكرات مالك بن نبي : " كان في تبسة فوران في الأفكار حقا يحفظه ويرعاه ويصونه العلماء الذين أخذوا يعودون من تونس ، ولا يفوتنا أن نذكر أنهم كانوا على سنة من تبسة سنها شيخ من نفطة بالحدود الجزائرية-التونسية التي كانت آنذاك المركز الثقافي الذي يؤمه طلاب العلم الذين كانوا حفظوا القرآن الكريم عن ظهر قلب في زاوية سيدي بن سعيد أو زاوية سيدي عبد الرحمن والذين لم يكونوا قادرين على القيام بدراستهم العليا في الزيتونة بتونس (بن نبي، 1969، صفحة 134) فلم تتوقف هجرة الرحمانيين منذ أن وطأت أقدام الاستعمار أرض الجزائر وإن كانت هجرتهم الى الشام والحجاز ومصر ، الا أن تونس كانت نقطة عبورهم بفعل عدة عوامل ، وتحولت الى منطقة استقرار لهم (مياسي، 2008، الصفحات من 280-281).

تعتبر زوايا الرحمانية بتونس امتدادا للزوايا الرحمانية بالجزائر ، وظلت مقصد للفارين واللاجئين والثائرين على الوجود الفرنسي في الجزائر ، كما عرف مشايخها بعدائهم لفرنسا خاصة الشيخ مصطفى بن عزوز (ت 1866) ، فقد استقبل الشيخ عبد الحفيظ الحنفي الذي أعلن الجهاد في سريانة ، كما دعم محمد الصغير بن الحاج بالسلاح والمؤونة ليدخل الجزائر ويفك الحصار على الزعاطشة ، كما احتضن الثائرين الآخرين كالثائر الطيب بن شندوقة الذي قام بثورة الجلفة والأغواط رغم ضغوطات السلطات الاستعمارية على الشيخ مصطفى بن عزوز لتسليمه الا ان هذا الأخير رفض ذلك ، كما تجلى دور زاوية نفطة أيضا في مساعدة القادة الآخرين أمثال : الشريف محمد بن عبد الله لدرجة احتجاج السلطات الاستعمارية على ذلك ، وكذا مساعدة ابن ناصر بن شهرة وبوشوشة محي الدين بن الأمير عبد القادر (سعد الله أ.، 1998، صفحة 153).

بالإضافة الى دور الرحمانيين العلمي ، فالرحمانيون في المشرق أو في الشام أو في تونس أو في فرنسا لم يقطعوا صلتهم

بالوطن الأم وظلوا متفاعلين مع أحداثه ويبحثون عن أنجح السبل لطرد المستعمر (عبد المنعم، 2006، صفحة 17) وزيادة عن الطريقة التي يحملونها والدعاية إلى العلم والجهاد ، احتكوا برجالات الفكر والإصلاح وتواصلوا مع إخوانهم الجزائريين والمغاربة وتعرفوا على الظروف الدولية الجديدة وعلى ما يجري في العالم من حركات سياسية وكفاح ضد الاستعمار (بوعزيز، 1980، صفحة 28) فوجدوا الحرية التي فقدوها في بلدهم والمساعدات من الدولة العثمانية وألمانيا ، ولم يكتفوا بالتعريف عن قضيتهم فقط بل سعوا إلى تأسيس الجمعيات والنوادي(Bardin، 1979، الصفحات 230-231)والصحافة (لميش، 2004-2005، الصفحات 72-77)، كما لم يكتفوا بإيقاظ الشعور العربي فحسب بل تبلورت أفكارهم باحتكاكهم بإخوانهم المغاربة وأصبحت أفكارهم وحدوية مغاربية تحررية.

ولئن كانت مع بداية القرن العشرون الميلادي بعض المبادرات والنداءات فردية كما فعل صالح خالدي (هلال، 1992، الصفحات 151-152.)، لكن قبل ح.ع.1 وأثناءها أصبحت مبادرات الرحمانيين عبارة عن تكتلات وحدوية تندرج في نطاق الجامعة الإسلامية التي ترمي الى توحيد كلمة المسلمين (جلال، 1981، الصفحات 211-212)، والتحق بعض الرحمانيين أمثال الشيخ محمد الخضر الحسين (مواعدة، 1974، صفحة 30) واخوانه التونسيين أمثال : صالح شريف (Ayadi، 1986، صفحة 207)، وعلي باش حامبة(Mahjoubi، 1982، صفحة 125) وأخيه محمد باشا حامبة (Ayadi، 1986، صفحة 34) وإسماعيل الصفايحي (Ayadi، 1986، صفحة 141)بالمشرق وخاصة بالدولة العثمانية (العجيلي، 1992، صفحة 149)واستعملوا الدعاية وسيلة للمواجهة واستعمل الرحمانيون أمثال : الشيخ محمد الخضر الحسين الصحافة ، والنوادي والمنشورات الخاصة مع إخوانه التونسيين والعرب وسيلة وتمركزوا بالأستانة واتخذوها مع بداية ح.ع.1 مركزا لتوجيه سياستهم الدعائية واستقطبوا المهاجرين (شترة، 2008، صفحة 149) وكان تفكرهم وحدويا ووزعوا المناشير في أوساط المجندين وراهنوا على تحطيم فرنسا من الداخل وإثارة الثورات ضدها ، فاتصلوا بالأسرى لدى الألمان لحملهم على التطوع في الحركات الجهادية ، وانتهى

أمرهم إلى تأسيس لجنة سميت بلجنة تحرير المغرب العربي ، وأخرى سميت باسم اللجنة التونسية الجزائرية ببرلين سنة 1911 م (T، صفحة 33)، وعدة لجان أخرى وكان هؤلاء يعملون في الأستانة وفي أوربا على إعداد حملات تحريرية مسلحة ضد الاحتلال الإيطالي لليبيا سنة 1911 م والاحتلال الفرنسي للمغرب الأقصى والجزائر وتونس (كرو، 1973، صفحة 124). وكانت لهم تحركات بين العواصم واتصالات سرية بأنصارهم في الجزائر وتونس وليبيا، ونظموا دعاية في صفوف المغاربة المجندين داخل الجيش الفرنسي واتصلوا بالأسرى لدى الألمان لحملهم على التطوع في الحركات الجهادية التي تساندها الدولة العثمانية، وأسسوا لجنة تحرير المغرب سميت باللجنة التونسية الجزائرية ببرلين سنة 1916 م (Mahjoubi، 1982، صفحة 126).

عمل الرحمانيون على تطوير مرجعيتهم الجهادية من الجهاد بالسيف الى الجهاد بالقلم كما فعل الأمير خالد بعد ح.ع.1 (بوعرفة، 2007، صفحة 98) ، واعتمدوا على الدعاية وأسسوا الصحف ووظفوا المناشير ، وطوروا مرجعيتهم الجهادية الى الجهاد الاقتصادي لتحطيم العدو اقتصاديا ، فهذا الشيخ الخضر الحسين مثلا : دعا أثناء ح.ع.1 الى مقاطعة البضائع الفرنسية وعلى نفس المنوال سار خاله محمد المكي بن عزوز (دبوز، 1963، الصفحات 143-147) حيث أسس مفهوم الجهاد الاقتصادي ، ذلك أن فرنسا وإن انتصرت عسكريا فليس هناك نهاية للجهاد المسلح (بوعرفة، 2007، الصفحات 98-99)ودعا الجزائريون أن يجاهدوا فرنسا بمقاطعتها اقتصاديا كما دعاهم الى الاقتصار على ما ينتجونه أو التعاون مع دول الجوار من العرب والمسلمين ، وان كان الجزائريون لم يستوعبوا آنذاك الجهاد الاقتصادي ، إلا أنهم تفطنوا بعد ح.ع.1 إلى الجهاد بالقلم. (الفاسي، 1948 م، الصفحات 52-54).

كان لذلك الجهاد بالدعاية والقلم الأثر البارز في تجنيد القوى وأعلنت المقاومة على الايطاليين في ليبيا، وأرسلت الرسل لنشر الدعاية في الجزائر وتونس، وأعلن التوارق الثورة وعمت الاضطرابات في الجزائر (الفاسي، 1948 م، صفحة 54)، كما زاد

الرفض للتجنيد الاجباري وكثر عدد الفارين من الجيش الفرنسي ليلتحقوا بالثائرين، وواصلوا حرب العصابات واعلنوا الثورة ضد فرنسا ومن بقي منهم خارج الجزائر شكل مع بعض التونسيين لجانا وطنية في جنيف وبرلين والأستانة ومصر والحجاز للدعوة لاستقلال الشمال الافريقي (زروق، 1989م، صفحة 68).

عموما كانت مواقف الرحمانيين كمواقف كل الجزائريين في تطوراتهم، وتبحث عن الحلول لانقاذ وطعن مغتصب عكس ما اتسمت به مواقف المشايخ. لاسيما أن النخبة الرحمانية بالخارج توحد تفكيرها نحو الوحدة المغاربية والاستقلال وتعرفت على وسائل أخرى للمواجهة كالصحافة والتكتلات والنوادي نمو الشعور الوطني، وهذا ما لمسه الأمير خالد، الأمر الذي جعله يشجع النخبة في تأسيس هيئة سياسية تجمع شمل المغاربة واستطاعت تلك النخبة أن تلفت الأنظار الى قضية المغاربة (طرشوب، 2007، صفحة 68). أما النخبة الرحمانية في البلدان العربية إضافة الى مساهمتها العلمية والحضارية والعسكرية في تطوير تلك البلدان ساهمت في انجاح وتعميق حركة الجامعة الإسلامية وبالتالي ساهم الرحمانيون في ربط التواصل الحضاري بين الجزائر ودول المغرب حتى دول المشرق العربي الذي حاول الاستعمار الفرنسي قطعه (أبو القاسم، 1998، الصفحات 126-129).

الخاتمة:

الطريقة الرحمانية هي طريقة دينية صوفية، نشأت في الجزائر أواخر القرن الثاني عشر الهجري على يد مؤسسها الشيخ محمد بن عبد الرحمان الازهري (ومنه استمدت اسمها)، الذي أسس زاويته بقرية آيتإسماعيل سنة 1183هـ، ومنه انطلقت الطريقة الرحمانية التي ترجع أصولها إلى الطريقة الخلوتيةالسهروردية.

باعتبار الطريقة الرحمانية أوسع الطرق انتشارا في كل من تونس والجزائر ويعود هذا الانتشار الى امتيازها بالطابع الشعبي الشمولي وهو ما جعلها تلقى قبولا داخل الوسط التونسي والجزائري،

كونها ساهمت في الحفاظ على مقومات هذه الأمة وتكفلت بالمهام النبيلة خصوصا في فترة الاحتلال أين ازدادت حاجة المواطنين الى مثل هذه المؤسسات ، فرغم سياسة فرنسا ضدها إلا أنها ظلت تتطور باستمرار وواجهت العدو بطريقة متماشية مع سياسته ، في نفس الوقت كان لها دور ريادي في خلق جسر التواصل الحضاري بين البلدين واذكاء روح المقاومة الموحدة ،فالرابطة الروحية والدينية قديمة بين تونس والجزائر رغم محاولات الاحتلال الفرنسي عزلهما روحيا ومراقبة اتصالاتهما. وعليه لقد ملأت الطريقة الرحمانية فراغا كبيرا كاد أن يقضي على حرية شعوب المنطقتين فكانت العامل الفعال في تعبئته للتحرر من قيود الاستعمار. وقد كان لها أيضا الدور الأكبر في مقاومة الاحتلال الفرنسي، سواء من خلال مساندتها للانتفاضات والثورات التي قام بها زعماء ينتمون إلى طرق أخرى أو من خلال الثورات التي قام بها زعماء الطريقة الرحمانية خلال القرن التاسع عشر ميلادي.

عمل الاخوان الرحمانيون على تطوير وتنويع مرجعيتهم الجهادية خلال القرن العشرين ميلادي من الجهاد بالسين إلى الجهاد بالقلم والجهاد الاقتصادي، باحثين عن أنجح السبل لطرد المستعمر وتحقيق الوحدة المغاربية.

✦ **الاقتراحات:**

من أهم النقاط التي استرعت انتباهي بشكل عام هو تنوع المواضع العلمية التي تتعلق بالتصوف والطرقية لا تزال بكرا تحتاج ّإلى دراسات أكاديمية، لذلك نرجو المزيد من العناية بتراث الصوفية عامة وبتراث الطريقة الرحمانية بشكل خاص، خصوصا مع التوجه الأخير للعالم في دراسة الجوانب الروحية والدينية للمجتمعات المعاصرة والاستفادة من خبراتها وتجاربها المعرفية والفكرية.

✦ **التوصيات:**

تعمل الجهات المعنية جاهدة في سبيل التعريف بالتصوف الإسلامي، وذلك عن طريق المؤتمرات والندوات العلمية التي تعقد

بين الفينة والأخرى، وهو من علامات التقدم العلمي والحضاري الذي تعرفه البلاد، ومع هذا فإننا ندعو إلى:

1. بذل مزيد من المجهودات في سبيل التعريف أكثر بتراثنا وتاريخنا الثقافي والحضاري، وتوجيه العناية إلى نشر التراث الصوفي الرحماني للتعريف أكثر بالطريقة الرحمانية وأن لات يترك بين أيدي من لا يعرفون له قيمة، ثم إننا بهذا نكون قد أدينا ما علينا من واجب تجاه التاريخ والحضارة والإنسانية.
2. بذل المزيد من الجهد في التعريف بالطريقة الرحمانية وأعلامها خاصة، بالنظر إلى الأدوار التاريخية المشرفة التي قامت بها من باب الاعتراف بالجميل والحفاظ على الهوية الوطنية.

قائمة المراجع:

- ابن خلكان ,ا)) .د.ت .((وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان .Vol)ج .(بيروت :دار الثقافة.
- أبو القاسم ,س .ا .(1998) .أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر .بيروت : دار الغرب الإسلامي.
- أحمد ابن أبي ضياف. (1979). اتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان (المجلد ج 3). (تع:الطويلي أحمد، المترجمون) الجزائر، الجزائر، ش.و.ن.ت: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.
- الجبرتي ,ا .ع .(1998) .عجائب الآثار في التراجم .éd)عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم عن طبعة بولاق .(القاهرة :دار الكتب المصرية.
- الجبريتي ,ا .ع .(s.d.) .عجائب الآثار في التراجم والاخبار .
- الحسني ,ع .ا .(2008-2009) .الطريقة الخلوتية الرحمانية الأصول والآثار منذ ظهورها الى غاية الحرب العالمية الأولى، مذكرة دكتوراه ي العلوم الإسلامية، .جامعة الجزائر.
- الحسيني ,ع .ا)) .د.ت .((زاوية الشيخ مصطفى بن عزوز البرجي . دمشق :الدار الحسينية للنشر والتوزيع.

- الشافعي ,ح& .,العجمي ,أ .ا .(2007) .في التصوف الإسلامي . القاهرة :دار الإسلام للطباعة والنشر،.
- العجيلي ,ا .(1992) .الطرق الصوفية والاستعمار الفرنسي بالبلاد التونسية .(1939-1881)تونس :منشورات كلية الآداب بمنوبة.
- الفاسي ,ع 1948) .م .(حركات الاستقلالية في المغرب العربي .
- القاسمي الحسني ,ع .ا .(2005) .المؤلفات الصوفية في الجزائر .éd) تق :مار جيدل .(بوسعادة ,الجزائر :دار الخليل للنشر والتوزيع.
- الكوثري ,م .ز .(2004) .البحوث الدينية عن بعض رجال الطريقة السنية الخلوتية .بيروت :دار الكتب العلمية.
- المراكشي ,ا .ب .(1974) .الاعلام بمن حل مراكش وأغمات من الاعلام .Vol)ج) .(2ا .الملكية) (.Éd ,د.ب :(المطبعة الملكية.
- المراكشي ,ا .ب .(1974) .الاعلام بمن حل مراكش وأغمات من الاعلام .المطبعة الملكية.
- باش تارزي ,ع .ا .(s.d.) .رسالة في الدفاع عن الطريقة الرحمانية . وثائق المكتبة القاسمية بزاوية الهامل.
- بن عثمان ,ع .ا 1350) .هـ .(الدر المكنوز في حياة سيدي علي بن عمر وسيدي بن عزوز) .م .النجاح (.Éd ,قسنطينة :مطبعة النجاح .
- بن عزوز ,م .ا .(1984) .رسائل بن عزوز .
- بن نبي ,م .ْ .(1969) .مذكرات شاهد القرن .Vol)ج) .(1م . القنواتي (.Trad ,بيروت :دار الفكر.
- بوعرفة ,ع .ا .(2007) .جهاد شعبي أم مقاومة، قراءة في المرجعيات الفكرية لحركة الجهاد والخطاب الصوفي في الزوايا ...المقاومة والثور التحريرية .الجزائر :منشورات وزارة المجاهدين.
- بوعزيز ,ي .(1980) .ثورات الجزائر في القرن .20-19الجزائر.
- جلال ,ي .(1981) .المغرب العربي الكبير .(2 .Vol)بيروت ,لبنان : دار النهضة العربية.
- خزينة وثائق الحكومة التونسية .Vol)الملفات .(1033-1029 .(s.d.)الخزانة .19

- دبوز ,م .ب .(1963) .نهضة الجزائر وثوراتها المباركة .éd)الطبعة التعاونية .(الجزائر.
- زروق ,ح1989) .م .(العالم الإسلامي في ح.ع 1914-1918) 1.م (.éd)مطبعة الأمانة .(مصر.
- سعد الله ,أ .ا .(1998) .تاريخ الجزائر الثقافي .Vol) 1500-1830 ج .(4بيروت :دار الغرب الإسلامي.
- سعد الله ,ا .ا .(2005) .خارج السرب .بيروت :دار الغرب الإسلامي.
- سعد الله ,ا .ا .(2005) .في الجدل الثقافي .éd)ط .(2بيروت :دار الغرب الإسلامي.
- شترة ,خ .ا .(2008) .إسهامات النخبة الجزائرية في الحياة السياسية والفكرية والتونسية .(1900-1930)الجزائر :دار البصائر للنشر والتوزيع.
- طرشوب ,ن .(2007) .الهجرة الجزائرية نحو المشرق العربي أثناء الاحتلال .الجزائر :دار هومة.
- عبد المنعم ,ا .(2006) .نظرات في الطريقة الرحمانية، التاسيس والانتشار، ملتقى التربية الروحية في الطريقة الرحمانية، .
- كرو ,أ .ا .(1973) .أعلامنا محمد الخضر حسين .éd)مطبعة الاتحاد العام التونسي للشغل .(تونس.
- لميش ,ص .(2004-2005) .سوريا والثورة الجزائرية 1954- 1962م .جامعة الجزائر.
- محفوظ ,م .(1982) .تراجم المؤلفين التونسيين .Vol)ج .(3بيروت : دار الغرب الإسلامي.
- مخلوف ,م .ب .(1930) .شجرة النور الزكية في طبقات المالكية . القاهرة :المكتبة السلفية.
- مفتاح ,ع .ا .(2004) .أضواء على الطريقة الرحمانية الخلوتية .وادي سوف ,الجزائر :دار الوليد للنشر.
- مواعدة ,م .(1974) .محمد لخضر الحسين حياته وآثاره .الدار التونسية للنشر.

- مياسي ,إ .(2008) .مقاربات في تاريخ الجزائر الثقافي .الجزائر :دار هومة.
- هلال ,ع .(1992) .مساهمات لخالدي صال بن عمار في التعريف بالقضية الجزائرية .(1903-1906)مجلة الدراسات التاريخية-151 , 152.

- (s.d.).
- 886., A. N. (s.d.).
- ARCHIVES NATIONALES. (s.d.). (p. 30/15.f 886.). Tunis: Série D.Dossier.
- Ayadi. (1986). Mouvement reforniste et Mouvement populaires a Tunus (…-1912).Tunis. (I. d. tunisienne, Éd.) Tunis.
- Bardin, p. (1979). Algeriens et Tunisuns dans l'empire Othomane de 1848 à 1914. paris et de CW.RS.
- cour, (. (1862). Recherche sur l'état des confréres Religieux Musulmans.in Revue Africaine.

- M.Ayadi. (s.d.).
- Mahjoubi, A. (1982). Les origines du mouvements nationales en TUNISIE 1904-1934. Tunis: publications de la faculté des lettres .
- T, A. (s.d.). Circulaire dattée du 28/02/1912.
- X avier coppolani.oclave Depont, X. a. (1897). les comfréries relegieuses Musulmane. alger, Alger: adoloh jourdane .

- للإحالة على هذا المقال:

هاجر بوزياني، مصطفى حجازي ، (2023)، « البعد الروحي المغاربي من خلال نشاط الطريقة الرحمانية (تونس والجزائر أنموذجا)». **المواقف**، المجلد: 19، العدد: 01، جوان 2023، ص. ص 772- 791.